OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

مفهوم الأخلاق و الأدب و العلاقة بينهما
Concept of Morals and Literature and their Mutual Relevance

Muhammad Usman Faiz
Doctoral Candidate, Bahauddin Zakariya University Multan
Muhammad Tahir
Doctoral Candidate, Bahauddin Zakariya University Multan
Dr. Rohma Imran
Professor Department of Arabic, Bahauddin Zakariya University Multan

Abstract

This research paper is about the concept of morals and literature, and their mutual relevance and their consequences into the society. Its aim is to raise the problem represented in the overlap and intersection between their sub-concepts. The research methodology used was descriptive, theoretical and applied. This study was divided into three sections. The first section dealt with the concept of morals and literature, the second section revolved around their mutual relevance and the third section surrounded the moral paradigms related to the literature. This article simplified the understanding of the concept of morals and literature. It also played a key role in relating morals to the literature.

Keywords: Moral, relevance, Literature, paradigms

الحَمْدُ للهِ الخَلاَّقِ العَلِيمِ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ جَعَلَ الأَخْلاَقَ مِنَ الإِيمَانِ، وَجَعَلَ سُوءَهَا مِنَ العِصْيَانِ، فَأَمَرَ بِحُسْنِ الخُلُقِ، وَنَهَى عَنْ سُوئِهِ، وَرَفَعَ قَدْرَ مَنْ تَخَلَّقُوا بِمَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ، فَأَنَالَهُمْ أَعْلَى المَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَعْطَانَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى لِيُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. اللّهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيّئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، أما بعد: الأدب و الأخلاق من الموضوعات التي احتلت

CC BY

مكانًا كبيرا في اهتمام المفكرين والباحثين واستحوذت على تفكيرهم منذ القدم. نتكلم في هذا المقال أولا مفهوم الأخلاق والأدب لغة واصطلاحاً ثمّ نوضح العلاقة العميقة بينهما في ضوء آراء وأفكار العلماء والأدباء وكذلك آراء الفلاسفة المسلمين. وبعد ذلك سنذكر بعض النماذج الأدبية لتوضيح العلاقة الوثيقة بينهما. و ختامًا سنقدم ملخص البحث و أهم نتائجه.

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق و الأدب

معنى الأخلاق في اللغة

إن الناظر في كتب اللغة يجد أن كلمة أخلاق تطلق ويراد بها : الطبع والسجية والمروءة والدين. وحول هذه المعاني يقول الفيروزابادى: "الخُلْقُ بالضم وضمتين السجية والطبع والمروءة والدين"[1].ويقول ابن فارس حسب مادة خلق: " الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء ، والآخر ملاسة الشيء، فأما الأول فقولهم : خُلِقَتْ الأديم للسقاء، إذا قدرته ... ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدر عليه. وفلان خليق بكذا ، وأخلق به، أي ما أخلقه ، أي هو ممن يقدر فيه ذلك"[2]. ويقول ابن منظور: " الخُلُقُ والخُلْقُ السجية ... فهو بضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية " ثم يفسر ابن منظور ذلك قائلا: " وحقيقته أي الخلق أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة "و بهذا المعنى يقول راغب الأصفهاني " الُخْلقُ في الأصل شيء واحد كالشّرب والشُّرب والصُّرْمِ والصَّرْمِ لكن خُص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخُص الخُلْقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة . قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[3] .وقرئ : إن هذا إلاخُلُقُ الأولين ، والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقِه قال تعالى (وماله في الآخرة من خلاق ..)[4] وفلان خليق بكذا : أي كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك مجبول على كذا أو مدعو اليه من جهة الخَلْقِ ..)[5] ومن خلال هذا العرض اللغوي يمكن ملاحظة ثلاثة أمور هي:

- الخُلُق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة .
- تدل الأخلاق على الصفات المكتسبة حتى اصبحت كأنها خلقت فيه فهي جزء من طبعه .
- أن للأخلاق جانبين : جانب نفسي باطني ، وجانب سلوكي ظاهري.[6]

الأخلاق في الاصطلاح

عرف العلماء الأخلاق بتعريفات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ولكن سنذكر أهم تلك التعريفات ومنها:تعريف ابن حجر:"الخلق الذي يضم ... القوى والسجايا المدركة بالبصيرة... الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك، فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم: منها ضد ذلك."[7]تعريف ابن مسكويه ، فقد عرف الأخلاق بأنها " حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية . وهذ الحال ينقسم الى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه

أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجن من ايسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعة أو يرتاع من خبر يسمعه ، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أي شيء يعجبه ، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله . ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب ، وربما كان مبدؤه الفكر ، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً "[8]تعريف الغزالي حيث عرفها بأنها " هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية".[9]ويلاحظ من التعريفين السابقين أنهما يجنحان إلى منهج فلسفي الى حد بعيد فابن مسكويه كما يقول عبدالله دراز "كان متأثراً في تفكيره الأخلاقي بالتفكير الأرسطى، بل كان يتبع ارسطوا في هذا التفكير تماماً .. ولا أقول إن أفكار أولئك نسخها من أفكار هؤلا في جميع نواحيها ذلك أن للإسلام ولجهودهم الفكرية أثر في بعض نواحي تفكيرهم أيضا)[10] ومع ذلك فإن التعريفين قد كشفا لنا معان مهمة من معاني الأخلاق فهي صفات مستقرة في النفس الإنسانية تصدر عنها الأفعال بطريقه تلقائية سريعة لا تكلّف فيها، وبهذا تظهر الأخلاق.عرفها عبدالكريم زيدان بقوله: "ويمكننا تعريف الأخلاق بأنهامجموعة من المعاني والصفات المستقره في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه"[11]ولا يخفى أن هذا التعريف هو نفسه تعريف الغزالي مع إضافات غير خافية وتكمن اضافته الحسنة بأن المعاني والصفات المستقرة في النفس هي الضابط للإقدام والإحجام عن الفعل بحسب حسنة وقبحه .تعريفها عند آشلي مونتاجيو :"تتعلق ...بالمبادئ وقواعد السلوك الحسن، ولقد اتفق الفلاسفة على أن السلوك الخلقي هو الذي يؤدي إلى أكبر قسط من السعادة، وحاولوا أن يفرقوا بين ما هو صواب وماهو خطأ، بين السلوك الحسن والسلوك السيئ".[12]وهي عند كريتش وبالتشري:"طبقة هامة من المعتقدات يتقاسمها أعضاء المجتمع الواحد ، وخاصة فيما يتعلق بما هو حسن أو قبيح، أو هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه."[13]وقد عرفها بعض العلماء بأنها " التحلي بالمليح والتخلي عن القبيح "ولا شك أن هذا التعريف هو أخصر من التعريفات السابقة ، وأقرب الى الدلالة على المطلوب ، ولكن لو قيد بحسب الشرع لكان ذلك أحسن في نظرنا لتفادي توهم التحسين والتقبح العقليين وذلك غير مراد، فلو قيل " فعل المليح والتخلي عن القبيح بحسب الشرع " لكان هذا اولى حتى ننأى بالتعريف عن المناهج والتعريفات الفلسفية . وقد تنبه لذلك بعض الباحثين الأفذاذ مثل الدكتور يالجن فحدد مفهوم الأخلاق في الإسلام بقوله : " يمكن تحديد مفهوم الاخلاق في نظر الإسلام بأن الأخلاق عبارة عن علم الخير والشر والحسن والقبح وله قواعده التي حددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[14].

تعريف الأدب لغة

عرف اللغويون للأدب تعريفات عديدة، وبعض التعريفات الشهيرة التالية:قال صاحب المحيط في اللغة : " الأَدَبُ: مَعْرُوْف؛ والجَميعُ الآدَابُ، أدِيْبٌ وأدَبَاءُ، وأدُبَ الرَّجُلُ يَأدُبُ أدَباً. والأَدَبُ: كَثْرَةُ ماءِ البَحْرِ. والمَأدُبَة - مَفْعُلَةٌ -: من الأدَبِ. وطَعَامُ الدَعْوَةِ. والأدْبَةُ: المَأدُبَةُ. والمُؤْدِبُ: صاحِبُ المَأدُبَةِ، آدَبَ إيْدَاباً.

والإدْبُ: العَجَبُ؛ وكذلك الأدْبُ، جاءَ بالأدْبِ الآدِبِ والأدِيْبُ: المَرُوْضُ من الإبِلِ. وأدَبْتُ القَوْمَ على أمْرِ كذا آدِبُهم وآدُبُهم أدْباً: أي جَمَعْتُهم عليه، ومنه مَأدُبَةُ الدَعْوَةِ".[15]و قال صاحب الصحاح: "الأَدَبُ: أدَب النَّفْس والدَّرْسِ، تقول منه: أَدُبَ الرجُلُ بالضم فهو أَديبٌ، وأَدَّبْتُهُ فَتأَدَّبَ. وابن فلان قد استأدَبَ، في معنى تأدب والادب: العجب. والادب أيضا: مصدر أدب القوم يأدبهم بالكسر، إذا دَعاهُمْ إلى طعامِه. والآدِبُ: الداعي.[16]قال ابن فارس "الْهَمْزَةُ وَالدَّالُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ تَتَفَرَّعُ مَسَائِلُهُ وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ: فَالْأَدْبُ أَنْ تَجْمَعَ النَّاسَ إِلَى طَعَامِكَ. وَهِيَ الْمَأْدَبَةُ وَالْمَأْدُبَةُ. وَالْآدِبُ الدَّاعِي.[17]قال ابن سيده: "الأَدَبُ: الظَّرْفُ وحُسْنُ التَّناوُلِ، أَدُبَ أَدَباً، فهو أَدِيبٌ، من قَوْمٍ أُدَبَاءَ. وأَدَّبَهُ: عَلَّمَه، واسْتَعْمَلَه الزَّجّاجُ في اللهِ تَعالَى، فقالَ: والحَقُّ في هذا ما أَدَّبَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم. والأُدْبَةُ، والمَأْدَبَةُ، والمَأْدُبَةُ: كُلُّ طَعامٍ صُنِعَ لدَعْوَةٍ أو عُرسٍ. قالَ سِيبَوَيْهِ: قالُوا: المَأْدَبَةُ، كما قالُوا المَدْعاةُ. وفي الحَدِيثِ: ((إنَّ هَذا القُرْآنَ مَأْدَبَةُ اللهِ)) والمَأْدَبَةُ: الطَّعامُ، فُرِّقَ بينَهُما. وقَدْ أدَبَ يَأْدِبُ أَدْباً، وآدَبَ: عَمِلَ مَأْدَبَةً. والأَدْبُ: العَجَبُ".[18]الأَدَبُ الَّذِي يَتَأَدَّبُ بِهِ الأَديبُ مِنَ النَّاسِ؛ سُمِّيَ أَدَباً لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلَى المَحامِد، ويَنْهاهم عَنِ المَقابِح. وأَدُبَ، بِالضَّمِّ، فَهُوَ أَدِيبٌ، مِنْ قَوْمٍ أُدَباءَ. وأَدَّبه فَتَأَدَّب: عَلَّمه، وَاسْتَعْمَلَهُ الزَّجَّاجُ فِي اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: وَهَذَا مَا أَدَّبَ اللهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفُلَانٌ قَدِ اسْتَأْدَبَ: بِمَعْنَى تَأَدَّبَ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: قَالُوا المَأْدُبةُ كَمَا قَالُوا المَدْعاةُ. وَقِيلَ: المَأْدُبةُ مِنَ الأَدَبِ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إنَّ هَذَا القرآنَ مَأْدَبةُ اللَّهِ فِي الأَرض فتَعَلَّموا مِنْ مَأْدَبَتِه، يَعْنِي مَدْعاتَه.[19]وجمعه (الخلق) الأخلاق الذي يعني بها "طبع، وسجية عريكة، وطريقة تصرُّف يتميز بها الإنسان"[20]. ونسبتها الخلقي أي مطابقا للخلق والعادات المحمودة، ويعني بهما مورال (Moral) بالإنجليزية، والأخلاقي هي نسبة الأخلاق، وتأنيثها الأخلاقية التي تعني بها مورالييتي (Morality) بالإنجليزية.[21]والأخلاقية (Morality) هي الطريقة السلوكية التي يمتاز بها سلوك النوايا والقرارات والإجراءات بين الخير والشر أو الحق والباطل، فتتغير الأخلاقية حينما تتغير الأعراف والعادات والطرائق. كما يعرّفها قاموس وأكسفورد الإنكليزي بأنها "هي الآداب الأخلاقية المتصلة والفضيلة المعينة والقواعد السلوكية الصحيحة"[22] "أو بيّنها قاموس لونغمان الإنجليزية "هو الوعي والفكرة حول الصواب والخطأ"[23]

تعريف الأدب اصطلاحاً

لقد مرت تعريفات الأدب العديدة -كما قدمناها سابقاً- وهذه المراحل التي مر بها كانت من شأنها تعريف الأدب بطرق مختلفة ومن التعريفات التي عُرف الأدب بها هي:

التعريف العام للأدب

هو كل شيء أنتجه عقل الإنسان ويكون هذا المنتج قد أثر على تفكير الإنسان وبتعريف العلامة الحسن بن سهل فإن الأدب يوازي معنى الثقافة.[24]حيث إن أي علم من العلوم يدعو إلى تثقيف العقل كالعلوم الفلسفية، والعلوم الطبيعية، والشعر، والكتابة، والرياضيات، والعلوم الطبية، والعلوم الاجتماعية، والعلوم اللسانية.

التعريف الخاص للأدب

هو كل مُنتج يؤثر في النفس سواء أكان شعراً، أو نثراً ويكون المقصود منه التعبير عن النفس بأسلوب أنيق يستمتع به المتلقي لهذا الأدب.[25]

التعريفات الحديثة للأدب في العصر الحديث

بدأ بعض الفلاسفة والأدباء بالتفكر والتأمل وخرجوا لنا بالعديد من التعريفات التي يمكننا بها تعريف الأدب تعريفاً جامعاً مانعاً ومن هذه التعريفات:

- الأدب هو كل شيء وأي شيء قيد الطبع.
- الأدب يقتصر فقط على الأدب التخيلي والإبداعي الذي لا ترابط بينها وبين الواقع.
- والأدب هو استخدام اللغة استخداما جديداً مبتكراً غير الاستخدام التي تُستخدم به في الحياة. ويتم ذلك عن طريق التلاعب بالألفاظ واستخدام الجناس والسجع وغير ذلك من الأساليب البلاغية.[26]
- الأدب هو كل كتابة تنتمي إلى الحكمة، أو الرواية، أو الشعر، أو الخطبة، أو التراجيديا، أو القصة القصيرة، أو المسرحية أما الكتابة التي تنتمي إلى التاريخ والفلسفة وغيرها من الكتابات فهي لا تنتمي للأدب حسب هذا التعريف.
- الأدب هو فن جميل بتوسل بالغة وهذا تعريف الأديب الراحل طه حسين.
- والأدب هو الكلام البليغ المؤثر في النفس والصادر عن العواطف.[27] وهذا هو التعريف الذي يتفق عليه الكثير من الأدباء.

المبحث الثاني:علاقة الأخلاق بالأدب

و عجيب جدا ! لقد اعتنى الأدب العربي بالآداب الممدوحة و الأخلاق الفاضلة، وسعى لها سعيا، ونيّر بشعلها المحدودات، ووفق بها يحبه ويرضي، وحرض كافة الإنسان على تمسّكها لأن يكون أديبا مؤدَّبا ممدوحا بالكائنات الحية، وقدوة أخلاقية فاضلة لجميع الناس! نعم الغرض و هو الغرض المرغوب في حياة الإنسان.لإنسان أهم الحيوانات في العالم، متكون بالنفس والعقل والبدن، ومتحل بالثقافات والمدلولات الاجتماعية و التاريخية التي تبعث بها التعاليم المعاصرة. وعليه واجبات وحقوق ومسؤوليّات. وهو أذكى المخلوقات بالعقل و الوعي والإدراك، وبه يميّز الإنسان الحسن من القبح والطيّب من الخبيث و الخير من الشرّ، إذ يمكن به اختيار الطرق المناسبة له مع القدرات الحسية، ولأجله كلّفه بالتكاليف وحمله ما لم تتحمّله السماوات والأرض والجبال ونناط به الثواب والعقاب. فيجدر باستخدام العقل للاهتداء به.فيتميز الإنسان بسمتين بارزتين: الأولى: تتعلّق بتعدّد الاحتمالات مثل الحوّاس والعقل والوجدان التي تحثّ على تطور الوجود البشري والنتيجة الحتمية. والثانية؛ هي مهارته المبدعة والمبتكرة بفضل امتلاكها لملكة العقل والحوّاس والوجدان. فبهذين يصبح الإنسان راعي القانون ومتمسّك الحسنات ومحترم الأخلاق. والإنسان برأي الحكماء والفلاسفة هو "حيوان اجتماعي"،[28] لاينحصر في رفقة سفر أو جلسة سمر فقط، بل يمتدّ ليشمل كلّ نواحي الحياة وفي تحمُّل الأعباء والأمانة. فيجدر التعاون بينهم لتحصيل الأغراض المختلفة وتسهيل الغايات التي تدور بينهم،

والتمسّك بالإجراءات القيمية بينهم لتحصيل الحقوق الذاتية والغيرية. ويمسّ ببعض القوانين ويحتاج إلى المعلومات الأخلاقية، ويبذل المحاولات لإرساء العدالة والإنصاف والتضامن، وهذه القوى الأبدية الفاضلة تجسّم للطبيعة والرحمة والمحبّة والإيثار والتضحيّة، وتقرّ السلام في القلوب والعدل والإخاء في الجميع.وهذا الخلق هو سجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها ويعيش فيها، ويلتقط منها يحتاج الآداب السلوكية والمعايير الفكرية والعقلية، وبها تتوفر سيرها الذاتية وأفكارها الشخصية ملائمة لثقافة المجتمع وحضارته، وهي الوعي الإنساني والمضمون السلوكي والأصل الثقافي يتدرب الأشخاص والشعوب حسب إرشاداته. ويقول ابن منظور "الخلق هو الدين والطبع والسجية"،[29] ويؤيّده قول ابن عباس: "إنك لعلى خلق عظيم" معناه "إنك على دين عظيم،[30] أي وهو الإسلام".وبيّنه مجاهد بقوله: الخلق هو الدين، مستدلا بعائشة رضي الله عنها التي قالت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم: "فإن خلق رسول الله كأن القرآن"،[31] أي الدين. ويؤكد الفيروزابادي: "اعلم أن الدين كلّه خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"[32].وبالمعنى الاصطلاحي، "عقيدة أخلاقية منبثقة من البحث الفلسفي في الأخلاق"[33] " أو "هو حال النفس الإنساني ومعيار السيرة الأدبية والسلوك الطبيعي والآداب الاشتراكية، حيث يدبّر أفعاله ويرتب سيره وسلوكه بلا رؤية ولا اختيار. فيوجد بعض الخلق غريزة وطبعا، وبعضها بالتدريب والاجتهاد".[34] وتكون أكثر الأخلاقيات طبيعية محضة بدون الرياضية ولا التدريبية كما يوجد الشجاعة والحلم والعفّة الجنسية والعدل وغير ذلك من الأخلاقيات. وقال الجرجاني: الخلق عبارة عن هيئة النفس الراسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر بغير حاجة إلى الفكرة والروية، فإن كانت الهيئة حسنة تصدر عنها الآداب الحسنة والأفعال الممدوحة، وإلا تكون في سوء الهيئة فتنبع عنها السيئات والفواحش. في هيئة راسخة حيث تعين الاجراءات الظاهرة عنها بأن تكون موافقة بأحوالها الداخلية، فتجدرأن تستقيم بحالها الحسنة المتوفرة.[35]

وبين العلماء بأن الأخلاقية هي اتباع معايير سلوكية معينة يعتبر حقا ومقبولا بمعظم الناس أو جمهورهم. أو بمعني آخر إنه الرموز أو النظام المقرر وفقا لدين معين وفلسفة مقررة وثقافة معلومة، رغما من الفجور؛ هي المعارضة للنشاطات الأخلاقية الممدوحة والسلوك المحمود. وعند العامة، أن الأخلاقية مدوّنة لقواعد السلوك الفردية والاجتماعية أو القومية كما يمكن التمييز بين الصواب والخطأ. تعكس فيها القيم الخلقية في الشخصية الإنسانية، كما أنها هي الاستقامة السلوكية والوعي العقلي والعلاقة الجنسية واللياقة البدنية والصحة النفسية بأقصى غاية النفس وحسب السلوك الاجتماعي والثقافي والحضاري.فالأخلاقية هي النظام السلوكي المحمود والآداب الفاضلة والصفات المقبولة بمعظم الناس في المجتمع أو جمهورهم، فتفترق الأخلاقية حسب المجتمع ويتغير مضمونها ورموزها وفق الآداب السلوكية فيهم. وأيا كانت أمور التعاليم الأخلاقية والأدبية هي التي تعرف بأدب الأخلاق عند العامة.عندما ننظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي للأدب ، يتضح لنا أن الأدب والأخلاق مرتبطان ارتباطًا وثيقًا فبعضهما مرتبط ببعض كما يدل عليه تعريف حنا الفاخوري بالأدب " الأدب هو ما يتحلى به الإنسان من صفات و أخلاق تعود عليه في مجتمعه بالاحترام و التقدير".[36]الأدب في

اللغة مأخوذ من كلمة (مأدبة) حيث كان العرب في الجاهلية يطلقون على الطعام الذي يدعون الناس إليه أسم (مأدبة). ولكن بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم تحول معنى الأدب إلى مكارم الأخلاق. حيث يقول سيدنا محمد في الحديث الشريف (أدبني ربي فأحسن تأديبي). ثم جاء عصر بني أمية (العصر الأموي) فتحول المعنى حيث كان يُطلق على مُعلم الناس الشعر، والخطب، وأخبار العرب. وأنسابهم..... الخالمؤدب، ثم في العصر العباسي تم تأليف رسالتي من قِبل الأديب الكبير ابن المقفع تحت عنوان الأدب الكبير والأدب الصغير. وفيهما عدد كبير من الحكم والنصائح الأخلاقية الراقية التي تُهذب الإنسان. وبهذا أصبح مفهوم الأدب أشمل وأعم حيث أصبح يحمل معاني كثيرة منها التعليم، والتهذيب. ففي الجاهليةِ وصدر الإسلام: كان أولُ استعمالٍ لها في كلامهم شعرًا ونثرًا بمعنى الدعوة إلى الطعام، فإنهم يقولون[37] :"أدبَ القومَ يأدبُهم أدبًا"، إذا دعاهُم إلى طعامٍ يَتَّخِذُه. كما اشتقُّوا كلمة (المأدبة) وهي الوليمة[38] وقد تحوَّل هذا المعنى الحسّيُّ إلى معنًى نفسيٍّ ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطباع والمناسبة بين أجزاء النفس في استوائها على الجملة. ومن ذلك ما رُوِيَ في الحديث[39] أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي[40].و إذا رجعنا إلى طبيعة الأدب فإننا نجده إنما لم يوجد إلا من خلال معطيات أو منجزات، ومن هذه المعطيات الأساسية في الحياة: الأخلاق؛ لأنَّ الأخلاق من قوام المجتمع وعماده، ولا يمكن أن يستقيم أي مجتمع بدون أخلاق، حتى إذا رجعنا إلى العصور الغابرة . الجاهلية وغير الجاهلية . فإننا نجد أن الأدب يحرص حرصاً بالغاً على تسجيل وتصوير كل الجوانب المختلفة التي ترتبط بهذه الحياة.

وبقدر مساهمة هذا الأدب في التعبير عن القضايا الاجتماعية والأخلاقية وتنمية هذه الأخلاق ومحاولة التعبير عنها، وإبرازها للمجتمع؛ بقدر ما تكون لهذا الأدب أهميته وقيمته.والذي يحاول أن يفصل بين الأدب والأخلاق كمن يحاول أن يفصل بين الجسم والروح؛ لأنه لا يوجد أدب بدون أخلاق، ولا توجد أخلاق بدون أدب، كما لا توجد الروح بدون الجسد.ومهمة الأدباء في هذه الحالة تكمن في دورهم في إرساء هذه الأخلاق وإبرازها للمجتمع حتى يفيد الناس منها؛ لأنه إذا لم يفعل الأدباء هذا الأمر؛ فلا قيمة للأدب وسيظل معزولاً ومنشغلاً بأموره الخاصة، وبالتالي لا يمكن أن يؤدي رسالته المهمة.وإذا أردنا أن نضرب أمثلة لهذا الأمر فإننا نجد بعض الشعراء الذين وصفهم القرآن في قوله تعالى: { وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}(الشعراء 224- 227) هنا تناولت الآيات قسمين من الشعراء، ولكن هل هذا يعني أنَّ هؤلاء الشعراء هم الوحيدون الذين عليهم هذه المهمة؟ وهل هم الذين ينقسمون إلى قسمين؛ فالأول: أتباع الشياطين، وأعوانهم، والثاني: أتباع الرحمن وأعوانه؟ لا.. الأدب كله ينطبق عليه ما ينطبق على هؤلاء الشعراء.. فمثلاً تجد "أبا العلاء المعري" كنموذج من هؤلاء الأدباء الذين حرصوا على ترسية الأخلاق وتنقيتها وتنظيمها وتوجيه الناس إليها، فنجده في "اللزوميات" لم يترك طائفة من طوائف المجتمع إلا قد سلقها بألسنة حداد وعرى عيوبها وكشف مساوئها؛ لأنَّه كان يهدف من وراء ذلك إلى

ترسية الأخلاق الحميدة، ولم يكن يستهين بهؤلاء الذين ينتمون إلى هذه الطبقات، وإنما هدفه الأساس هو توجيه الناس إلى الطريق الصحيحة وإلى ممارسة الأخلاق القويمة، وإلى الالتزام بمنهاج الإسلام في توجيه الأخلاق.

أمَّا إذا نظرنا إليه من حيث الفن فقد تطرَّق إلى قضية: هل الفن للفن أم أنه للحياة؟ فالجواب له: برز بعض الكتاب وقالوا إنَّ الفن للفن وليس للحياة، يعني أنَّك عندما تقرأ قصيدة يجب ألا تلتفت لأي شيء آخر غير الجمال والمتعة الفنية التي تحفل بهما، أما نحن في الأدب الإسلامي فننطلق من أنَّ الفن والأدب للحياة والأخلاق، ونلتزم التصور الإسلامي فيما يصدر عنا من أدب أو إبداع، وأريد هنا أن أفرّق بين الالتزام والإلزام، فالإلزام هو ما وُجد في الفكر والأدب الشيوعي، حيث يلزم الأدباء بفكر معين لا يقيم وزناً للأخلاق والقيم، أمَّا الالتزام الإسلامي فهو ينبع من هذا الدين. والأخلاق الحسنة والصدق والحث عليهما كان موجوداً حتى عند الشعراء الجاهليين، فهذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن زهير بن أبي سلمى: "إنَّه لا يعاضل ولا يمدح الرجل إلا بما فيه". فالصدق إذن من الأخلاق الحسنة عند الشعراء الجاهليين، وهم أئمة الفن الشعري. في المقابل لو نظرنا إلى ما يطرح من أدب على ساحتنا المعاصرة نجده ينقسم إلى قسمين: الأول: يبني ويدعو إلى مكارم الأخلاق، والثاني: . وهو كثير . يهدم الأخلاق ولا يقيم وزناً للقيم، ويزعجنا بضجيجه في وسائل الإعلام المختلفة، كالصحافة والإذاعات والمحطات الفضائية والإنترنت وغيرها.

أن الأدب هو نبت اجتماعي لهذا المجتمع، وبقدر ما يكون الإنسان متربيًا على القيم الفاضلة والأخلاق السمحة، بقدر ما يظهر ذلك في إبداعه، فالشعراء الجاهليون نلمس في شعرهم ذلك لأنَّ عندهم شيئا من الأخلاق الحميدة فطرياً، فعنترة بن شداد بطل خلقي قبل أن يكون بطلاً يصرع الأعداء، فهو يقول . بأخلاقه الجاهلية . بأنه يزور زوجة جاره حينما يكون زوجها موجوداً، أمَّا حينما يسافر أو يخرج مثل الناس التي تتغرَّب لا يزورها، فيقول:

أغشى فتاة الحي عند خليلها وإذا غزا في الحرب لا أغشاها

وأغضَّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

إني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هواها[41]

وهذه بطولة خلقية مرتبطة بالفطرة، وحتى الشعراء الصعاليك نجدهم يبذلون ويذودون بأنفسهم وأرواحهم من أجل أصدقائهم، فهذا عروة بن الورد يقول:

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد[42]

ورأي القدماء في البيت أن الجسم لا يقسم، وإنما يقسم قوت الجسم، فكأنه قال: أقسم قوت جسمي، وأجود به على غيري، وأوثره على نفسي. وذلك في فصل الشتاء وزمنَ البرد، وهو قوله: والماء بارد، وزمنُ الشتاء في جزيرة العرب، هو زمن الشدة والفاقة والجدب. فقوله: وَالْمَاء بَارد، كِنَايَة عَن زمن الشتَاء الَّذِي يشْتَد فِيهِ الجدب.

فهذا المعنى الأول في هذا البيت، وهو معنى الإيثار.

وأما المعنى الثاني فهو معنى الصبر، والاستعانة عليه بالتوهم، لأنه يذكر اجتزاءه بقراح الماء عَن الْقُوت، وهو المَاء الَّذِي لم يخالطه غَيره، مع شدة حاجته إلى الطعام، ورغبته فيه.وأما المعنى الثالث فهو معنى القناعة التي ليس بعدها قناعة، ذلك أنه لو ذكر أنه اقتنع بشيء قليل لصح أن يقال عنه: قنوع، ولكنه ذكر أنه قَنِعَ بالتوهم، واجتزأ بما لا يغني، وجعل ما نقص من لحم جسم نفسه زيادةً في جسوم المحتاجين.وعلى هذا فإن هذا البيت قد جمع من المعاني: الإيثار، والصبر، والقناعة.

أنا أرى أنَّ الأدب مرتبط بالحياة، ومرتبط بالمجتمع، وهناك عدة نظرات للأدب، هناك ناس ينظرون لجمالية الأدب، ومنهم الأستاذ "رشاد رشدي" الذي يقول: "أنا لا يهمني مضمونه بقدر ما تهمني فنيته وجمالياته".

لكن ماذا قال الأدباء عمَّن يتعرون من الأخلاق تماماً في كتاباتهم بحجة تعرية الجوانب السلبية، وكيف يتحقق التوازن فلا يقع الأدب في المباشرة، ولا يجنح إلى الإسراف في تزيين الشر؟وأتصور أنَّ الأديب الناجح لو أراد أن يقدم هذا النموذج المنحرف، يمكن أن يقدمه بلمسات لطيفة، كما في قصة يوسف عليه السلام، لكن معظم الذين يكتبون الآن يُحسنُون الفاحشة. ومن الممكن أن تكون الرواية واقعية وتلمس الأشياء لمساً يبين الانحراف دون أن تغرق في تصويره إغراقاً جمالياً، قد يشد القارئ أو المتلقي ويبعده عن الهدف الرئيس. أمَّا الحداثيون فإنهم يقصدون إلى ذلك قصداً!

كذلك رواية "الشارد" لـ "عبدالله عيسى السلامة"، نجدها مفعمة بالفنية والنضج، وقد كتب عنها الأستاذ "محمد الحسناوي" في مجلة "المجتمع". وفي اعتقادي أنَّ الأديب المسلم قادر أن يوازن بين الفنية وبين الفكر الذي يطرحه.

ميزات أدب الأخلاق

وقد قسم الأدب شعرا ونثرا؛ والشعر هو الكلام الموزون المقفى الذي يصور العاطفة والخيال، والنثر الكلام المرسل، يتقيد بالوزن والقافية.والأدب لا شكّ هو المعبر الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة، والشعر هو من أقدم الآثار الأدبية عهدا لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع. ويقال إنه ظاهر على هذه الصورة الرائعة من شعر مهلهل بن ربيعة وامرئ القيس. ويقال إن أول من بدأ به هو مضر بن نزار حين سقط عن جمل، فانكسرت يده فحملوه وهو يقول وايداه وايداه، وكان أحسن خلق الله صوتا ومع صوته اختلط صوت الإبل سيره، وسموه اللحن رجزا.[43]وأما أدب الأخلاق هو نوع من الأدب، يتضمن أنواعا مختلفة من النثر والشعر المؤلفة بشكل خاص للأطفال والأولاد لتقوية أخلاقهم وتنميتها سلوكهم وآدابهم يتبنوا السلوكيات المحمودة و يتحلوا بالأخلاقية الفاضلة. و بدأ تطور هذا الأدب في السابع عشر في أوربا، ثم يزدهر منتصف القرن العشرين لتحسين أنظمة التعليم في جميع العالم، وبعدها تكاثرت المؤلفات المخصصة للأطفال بلغات مختلفة وتوسع نطاقها حتى تضمنت الآداب المتنوعة والأخلاق السلوكية المتعددة.

نشأة الشعر الأخلاقي وتطوره

وكان الكلام كلّه منثورا قديم الزمان، ففكر العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب إغراقها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأمجاد وسمحانها الأجواد، تهز نفسها إلى الكرم وتدل أبنائها الشيم. فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم كلام موزون قرضوا شعرا، لأنهم شعروا به أي فطنوا. وبدأ العرب أولا بالسجع ووضعوه لتقييد علومهم أو ما يريدون حفظه، واليونان وضعوا أشعارهم لضبط العلوم والأشياء النفيسة والطبيعية التي يخشى ذهابها. والشعر وضع أولا للتغني به وإنشاده للآلهة والملوك، ولعل العرب يقولون الشعر إنشادا أحوالهم. والغناء عند جميع الأمم من أصل واحد.وأصبحت طبيعة الشعر هي الغناء المطلق،ووظيفة هي أداء ما تترسب في النفس من مشاعر وانفعالات حين ترتفع فوق الحياة العادية وتبلغ درجة الرفرفة والانسياب. والعرب لما نمت فيهم ملكة الشعر واتسعت أغراضه أمامهم نوعوا الأوزان وأطالوا القوافي وقصدوا القصائد. وليس في الدنيا أمة تضاهي العرب في كثرة الشعر والشعراء. الشعر العربي أكثره من الشعر الغنائي، وهو أرقي في العربية منه في سائر اللغات.وقد ساهم الخليل بن أحمد إلى الشعر العربي بخمسة عشر وزنا، وسماها بحورا وزاد عليها الأخفش بحرا آخر، والشعر الواحد عند العرب يبني على قافية واحدة إلا بحر الرجز، فقافيته في الصدر والعجز فقط، قال عمرو بن العلاء: "ما انتهي إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير".[44] والشعر يجمل أثره في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس وإن النفس ترتاح بصور المحسوس الباهر، وما انتزع منه الخيال الجلي لخفة مؤنة عليها وإراحته لها من المعاونات والكد. فكيف إذا أنغم إلى ذلك نظم الوزن والقافية الشديدة الشبه بتأثير الإيقاع و التلحين الذي يطرب له الحيوان بلّه الإنسان!. والشعر الأخلاقي هو الكلام البليغ على الآداب والأخلاق مع الوزن والقافية، وأحيانا يكون الشعر بدون القافية ويعرف بالشعر الحرّ. وقد وزّعت الأشعار إلى الوجدانية والتاريخية والأخلاقية حسب الأعراض، وحينما تحتوي الأبيات الشعرية على الآداب الأخلاقية والسلوكية فهي تعرف بالشعر الأخلاقي .

المبحث الثالث:النماذج الأخلاقية المتعلقة بالأدب

نماذج الأدب الأخلاق في النثر العربي

يستخدم النثر عمومًا لشرح أي شيء. وبالمثل عندما ندرس الأدب العربي نجد الأخلاق في جميع أنواع النثر وبلا أخلاق الكلام لا قيمة له. كما نجد في نصيحة أعرابية لابنتها ليلة زفافها تشجعها فيها على أخلاق الحسنة وتجنب من أخلاق السيئة.الآن نذكر بعض النماذج الأخلاقية اللتي لها علاقة وطيدة بالنثر العربي:

- قالت عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّر بين أمرين إلا واختار أيسرهما إلا أن يكون إثما أو قطيعة رحم.[45]
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنكم لن تسِعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم،[46] وفي رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن.

- عن أبي قلابة: أن أبا الدرداء رضي الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه ويكيلون له الشتائم فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب (بئر عميقة جف ماؤها) ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال إنما ابغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. فهو يبغض الذنب لا المذنب، والمعصية لا العاصي.
- وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبا فلا تكونوا أعوانا للشيطان عليه، ولكن سلوا الله العافية.[47]
- سئل الحسن البصري عن صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: ظهرت منهم علامات الخير في السيما والسمت والهدى والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق. نحلت أجسامهم، واستخفوا المخلوقين رضا للخالق، لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين. حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.
- قال البعض: الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب والسيء الخلق أجنبي عند أهله.
- وقيل أيضا: أن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق، لأن الفاجر إذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه، وأما العابد إذا ساء خلقه مقتوه وكرهوه.

كانت الأخلاق من أول عهد الإسلام مبنية على الدين الإسلام و مصدرها القرآن الكريم والأحاديث النبوية وحكم وأمثال وصلت إليهم من الأدب العربي. فلما دخل كثير من الفرس في الإسلام وكانت لهم ثروة كبيرة من الحكم والأمثال في جميع مرافق الحياة نقلوها إلى العربية ،و كان الإيرانيون في العصر الساساني يهتمون بكتب النصائح والحكم ، وكانوا يطلقون على عناوينها "اندوزنامة" و "بندنامه" وهى مشتملة على مواعظ ووصايا في الآداب والأخلاق منسوبة إلى الملوك الساسانيين وحكماء إيران القدماء.[48] تعد الأخلاق والحكمة العملية أحد الموضوعات التي ترجم كثير من كتبها من اللغة البهلوية إلى العربية ، وتركت أثرا ظاهرا في الأدب العربي . "لقد استقبل المجتمع الإسلامي كتب الأخلاق والحكمة العملية الساسانية استقبالا حافلا ،وأحرزت شهرة عريضة وأهمية بالغة بين طبقة الكتاب المسلمين وأهل الأدب أكثر من تأثرها بالفلسفة اليونانية، لقربها إلى العقل العربي الذي يحب تركيز تجارب السنن الطويلة في كلمات قصيرة ،ولهذا لما عثر العربي على هذا النوع من الحكم أعجب به وأدخله في تراثه وأضاف إليه ماكان له في الجاهلية." [49]عرض الأدباء العرب كتبا كثيرة في هذا الموضوع منها: الأدب الكبير والصغير لابن المقفع و عيون الأخبار لابن قتيبة والكامل للمبرد وكتاب التاج والحيوان والرسائل للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه. فمثلاً نقل ابن المقفع (ت 146هـ) حكم الفرس وأمثالهم، وقصصهم، والقصص الرمزية التي تشير إلى الأخلاق كـ "كليلة و دمنة"، و اللغة العربية مليئة

بهذه الجمل اللطيفة الرشيقة التي تدل على عقل واسع، وتجربة ناضجة. هذه حكم في الأخلاق الفردية، و الأخلاق الاجتماعية.[50] ونقدم هنا نموذجا من كتابه "الأدب الصغير"

- الدنيا دول فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.[51]
- ومن العلم أن تعلم أنك لا تعلم بمالا تعلم.[52]
- وقال بزرجمهر في ذم المرض: إن كان شيئ فوق الموت فهو المرض وإن كان شيئ مثله فهو الفقر، وإن كان شئ فوق الحياة فهو الصحة و الشباب، وإن كان شئ مثلهما فهو الفني.[53]

نماذج الأدب الأخلاق في الشعر العربي

ورد أن الأخلاق هي ثروة الأمم الفكرية والحضارية التي تصنع مجتمعًا بشريّا تسوده الخلق والأدب والخير و الحق؛ لذا يحسن سرد أهم ما سطره الشعراء تناولهم للقيمة الأخلاقية الحقيقية لـ حياتنا. وما من شك أن هزيمتنا السياسية الفاجعة اليوم، بالإضافة لتدهور مستوانا العلمي والفكري والحضاري في حقيقتها أزمة خلق وأدب، الأزمة التي بات مجتمعنا الإسلامي يفتقدها بشدها في الوقت الراهن، ربما لأننا أقمنا هذا الحاجز الضخم بين الدين والدنيا. ويمكن أن نفهم هذا المعنى الحقيقي خلال قول الشاعر أحمد شوقي رحمه الله:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

جاءت تلك الأبيات في أحد القصائد الشعرية التي ألقاها شاعر من الشعراء القدامى والذي يعد من قامات وهامات المجتمع. حيث إنه تربى على قصائده وأشعاره الكثير من الأجيال وهو "الشاعر أحمد شوقي" الذي يلقب باسم أمير الشعراء أو سفير القصيدة العربية. بالإضافة إلى هذا تحتوي أشعاره على الكثير من التعليمات والإرشادات التي تعلم الأشخاص المبادئ والأخلاق الإسلامية. فلا يمكن لأي حضارة أن تشيد بدون رصيد أو سند يتمثل في الأخلاق.إن فقدان القيم الاجتماعية في الكثير من زوايا المجتمع العراقي واندثار معظمها قد أدى إلى أن يبقى مجتمعنا بلا قيم، وهناك آثار وذكريات لقيم الماضي، وليس هناك قيم جديدة محل تلك القيم فتكون مثلها أو أفضل منها، فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا وذبحوا وهزموا هزيمة. وليتأمل قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[54]، وثناء الله تبارك وتعالى على نبيه أعظم الثناء بقوله: "وإنك لعلى خلق عظيم"[55] فأما عن أهم ما أنتجته قرائح الشعراء، فسنتخير بعض الأبيات التي تدل على مدى أهمية الأخلاق عند القوم وفي حياة الأمم. فهذا يؤكد على أن الحسن يقاس بالخلق أولاً فيقول:

شمائل وبهجة مرموقة والحسن بالأخلاق ثم الخِلَق

كما لا ننسى قول الشاعر أبو الفتح البستي:

فأقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان[56]

أما صفي الدين الحلي فيزيد على ما تقدم: أن المرء إذا لم يقم منزلته الأدبية في المجتمع على الأخلاق، كان بناؤه واهي الأساس، فقال :

إذا عدم الفتى خلقا جميلا يسود به، فلا خُلق الجمال[57]

و يلمح أبو العتاهية إلى أهمية مكانة الأخلاق صون الشرف فينشدنا:

هي الأعراق بالأخلاق تنمو بقدر أصولها تزكو الفروع

ثم يأتي أبو العلاء المعري ليعلن تفضيله للأخلاق على تيجان الملوك فجدير بنا أن نقول معه:

أسَرٌ إن كنت محموداً على خلق ولا أسر بأني الملك محمود

ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها وإنما هو بعد الموت جلمود[58]

وبالرغم مما هو معروف عن تفاخر العرب بأنسابهم، إلا أن بعضا من شعرائهم رأوا أن للأخلاق رابطة اجتماعية قدتفوق رابطة النسب ، فهذا البحتري يقول:

كم سري تقبل السرو منهم واشتباه الأخلاق عدوى وإلف

إذا تشاكلت الأخلاق واقتربت دنت المسافة بين العجم والعرب

وهو تأكيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"،[59] أما أبو تمام فتفوق صلة الأخلاق عنده صلة النسب في متانتها؛ لذا فقد رثى غالبا الصفدي باشد ما يرثي، الأخ أخاه فقال:

قلت أخي، قالوا أخ من قرابة فقلت نعم إن الشكول أقارب[60]

والعجيب أن غالبية الشعراء ذهبوا (وإن كان في هذا نظر) على القول بغلبة التطبع على التطبع، ومن ثم استحالة تغيير الخلق واكتساب أخلاق جديدة حميدة. ونورد في هذا الصدد قول أبي العتاهية الشهير:

كل امرى متفرد بطباعه ليس امرؤ إلا على ما يطبع[61]

كما أن العرب اعتبروا عامل الوراثة هو الأهم في تكوين الأخلاق، واستدل أصحاب هذا القول بقول زهير بن أبي سلمي:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه أباء أبائهم قبل

وهل ينبت الخطي إلا وشيجة وتغرس إلا في منابتها النخل؟[62]

ويقول التميمي:

أرى كل عود نابتا في أرومة أبي نسب العيدان أن يتغيرا

بنوا الصالحين الصالحونَ ومن يكن لآباء سوء يلقهم حيث سيرا

ويقول النجاشي: خلائق فينا من أبينا وجدنا كذلك طيب الفرع ينمي على الأصل [63]

أما النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، فيقول بإمكانية تغير الطباع واكتساب الأخلاق الفاضلة، فيقول صلى الله عليه وسلم: "إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم". مما يعني إمكانية تغيير الطبع و السلوك. وقد ورد على ألسنة الشعراء إمكانية اكتساب الخلق الحميد؛ شريطة وجود القدوة الحسنة، وأشاروا إلى أهمية عامل التربية والتأديب، وأكدوا على أن الوازع الديني هو الوحيد القادر على إحداث تغير تام وتأثير ملموس في خلق الإنسان، كما يدل على ذلك قول الحكم بن عبدل:

لم أجد عروة الخلائق إلا الـ دين، لما اعتبرت، والحسبا

ولا ننسى قول الطائي: فجاور كريما واقتدح من زناده وأسند إليه أن تطاول سلما

وورد للبحتري قول يؤكد فيه بأن الأخلاق تتأثر بالعشرة، ففي مزاحه لأحد أقرانه يقول :

أنت أعديته بحب سعاد وكريم الأهواء يعدي الكريما

أما ابن التعاويذي، فقد حذر من سوء القدوة الذي يؤدي إلى التطبع بأخلاق المقتدي به فأنشد بيته الشهير:

إذا كان رب البيت بالدف مولعا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

واختلف الشعراء في وسائل التأديب، ولكنهم اتفقوا على أن الحر يكفي لتأديبه الترغيب والعتاب، أما العبد فلا ينجع فيه إلا الترهيب، فقد جاء في قول ابن دريد:

واللوم للحر مقيم ورادع والعبد لا يردعه إلا العصا[64]

وقال بعضهم: العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة[65]

كما أجمع شعراء العرب ضرورة التهذيب الصغر و منه قول ابن قريع:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد[66]

كما ورد في الشعر العربي أنه يصعب على إخفاء عيوبه، ولزهير بن أبي سلمي بيت شهير يقول فيه:

ومهما تكن عند امرئ خليقة وإن خالها تخفي على الناس تعلم[67]

كثيرة هي القصائد ألتي تشيد بالقيم الخلقية، وليس يتسع المجال هنا لحصرها، ولكن إن فاتك يفوتنك قول الإمام الشافعي في جهاده لنفسه من أجل تحظى بالخلق الطيب:

إذا سبني نذل تزايدت رفعة وما العيب إلا أكون مسابه

ولو لم نفسي على عزيزة لمكنتها من كل نذل تحاربه

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أكون مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلما كعود زاده الإحراق طيبا[68]

ونرى هذه الأبيات الشعرية ارتبطت جوانبه برباط أخلاقية وتعاليم آدابية لتحقيق غايته الأخلاقية، فيؤكد أن الأخلاق هي روح الحياة المادية، والنظام التشريعي الإسلامي صورة مجسمة لهذه الروح الأخلاقية. ومهمة الدين هي تنظيم الحياة الإنسانية ووضع الضوابط الإلهية التي تحفظ للإنسان ضرورياته وتساعده على تحقيق حاجياته وكمالياته. فالإنسان لا يستطيع السير بدون قدرة إلهية وهدى رباني يوجهه حيث يكون الصلاح والفلاح.

خلاصة البحث

هذا الموضوع ذو أهمية كبيرة ،لأن الأدب هو تعبير الحياة الإنسانية ،والاخلاق لها علاقة عميقة به. فالهدف من هذا البحث رفع الإشكالية التي تمثلت في التداخل والتقاطع بين مفاهيمها الفرعية.

نتائج البحث

قد اتضح لنا أن هذا البحث مفيد جدا و يشتمل على جمع تعريفات الأخلاق والأدب الحديثة و القديمة و ميزات أدب الأخلاق والنماذج الأخلاقية المتعلقة بالأدب،كمادرسنا نشأة الشعر الأخلاقي

وتطوره ونماذج أدب الأخلاق في النثر والشعر العربي. سيسهم هذا المقال إسهاما كبيراً في في إيضاح علاقة الأخلاق بالأدب وسيكتشف التناسق والتكامل بين مفاهيمها المتداخلة والغامضة. فلذا نقدم المقترحات والتوصيات كالتالي:

1) دراسةمهمة جداً لدارسى الأدب وشائقيه،و لذلك في احتياج شديد إلى أن يطبع في المجلات الوطنية المختلفة لكى ينتفع به طلابه.
2) سيلقي هذا المقال ضوءا على تحديد التخوم وفك الاشتباك بين مكونات الأخلاق والأدب المختلفة في المستويات الأخلاقية و الاجتماعية.
3) فلنفرد تناولا منهجيا لأهم المكونات الأساسية لمفهوم الأخلاق والأدب.
4) علينا أن نفردحقلا خاصا استعرضنا فيه أهم التيارات الفكرية في مجال الأخلاق والأدب.

أخيرًا نسأل الله تبارك وتعالى أن يحسّن أخلاقنا و يجّمل أفعالنا و يتوب علينا و هو التّوّاب و أرحم الراحمين.

References

[1] Abū al-Ṭāhir Majīd al-Dīn Muḥammad ibn Ya'qūb ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm al-Shīrāzī al-Fīrūzābādī, *Al-Qāmus al-Muḥīṭ, (*Beirūt: Muasassat al-Risalat lil-Tabaat Wal-Nashr wal-Tawzie, Edition 8, 1426 AH/2005 AD) Fasl al-kha', bab al-Qāf, P.236.

[2] Abū al-Ḥusayn Aḥmad ibn Fāris ibn Zakariyyā ibn Muḥammad ibn Ḥabīb al-Rāzī, *Mu'jam maqāyīs al-lughah*, (Dār al-Fikr li al-Ṭabā't wa al-Nashr wa al-Tawzī'1399AH/ 1979AD), 213/2.

[3] Al-Qalam 96: 4.

[4] Al-Baqara 2:200.

[5] 'Abū al-Qasim al-Hussain Bin Muhamad al-Maruf B-al-Raghib al- Isfahānī, *Al-Mufradāt fī Gharīb al-Quran* (Beirūt: Dār al-Ma'rifah, Edition I, 1418 AH/ 1998AD), Madat Khalqa , P. 164.

[6] Mīqdād Muhammad Ali Yaljin, *Ilam al-Akhlaq al-Islamia,* (Riyadh: Dār Alam al-Kutub lil-Tabaat Wal-Nashr, al- Edition I, 1413AH / 1992AD), P. 34.

[7] Shihābud-Dīn Abul-Faḍl Aḥmad ibn Nūrud-Dīn ʿAlī ibn Muḥammad ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, *Fatḥ al-Bārī fī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī,* (Beirūt: Dār al-Maarifat, 1379AH), 560/1.

[8] Abū ʿAlī Aḥmad ibn Muḥammad ibn Yaʿqūb ibn Miskawayh, *Tahdhib al'Akhlaq wa Tathir al'Araq,* (Beirūt: Dār Maktaba al-Hayat lil-Tabaat wal-Nashr, Edition 2), P. 51.

[9] Abd-ul-Karim Zaidān, *'Usul al-Dawat,* (Matar: Dār al-Irfan, Edition 3, 1408AH), P. 79.

[10] Yaljan, *Ilm al-Akhlaq al'Islamia,* P. 43.

[11] Zidan, *'Usool al-Dawat,* P. 79.

[12] Aashli Muntajiu, *Kifa Nusaeido al-'Atfal Alaa Tanmiat Qiamihim al-Khuluqiati,* (Cairo: Maktabat al-Nahdat al-Misriah, 1980AD), P. 14.

[13] Ali Khalil Mustafa Abū-al-Einin, *Al-Qiam al-'Islamia wal-Tarbiat,* (Cairo: Dār al-Fikr al-Arabi, 1988AD), P. 25.

[14] Mīqdād Muhammad Ali Yaljin, *Al-Tarbiat al-'Akhlaqia al-'Islamia,* (Rayadh: Dār Aalam al-Kutub, 1412AH / 1992AD), Edition, P. 81.

[15] Ismāīl Bin Ubad Bin al-Abbas Al maroof Sahib Bin Ubad, 'Abū al-Qasim al-Taaliqani, *Al-Muhit fi al-Lughat,* (Beirūt: Aalam al-Kutab, Edition 1, 1414AH/1994AD), 364/2.
[16] 'Abū Nasr ' Ismāīl Ibn Ḥammad Al- Fārābī al-Jawharī, *Al-Ṣiḥāḥ Taj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-Arabia,* (Beirūt: Dār al-Ilm lil-Malayin, Edition 4, 1407 AH / 1987 AD), 85/1.
[17] Ibn-e- Fāris, *Mu'jam maqāyīs al-lughah,* 74/1.
[18] 'Abū al-Hasan Ali Bin Ismāīl Ibn-e-Seedah al-Marsi, *al-Muhakam wal-Muhit al-'Azam,* (Beirūt: Dār al-Kutub al-Ilmia, Edition 1, 1421 AH / 2000 AD), 385/9.
[19] 'Abū al-Fadl Jamal al-Din Ibn-e-Manzoor, Muhammad Bin Mukrim, *Lisan al-Arab,* (Beirūt: Dār Sādir, Edition 3, 1414AH), 206-207/1.
[20] Untawan Naeamah, wa Isam Mdwwr, w Luais Eajil, wa Matri Shammas (Muhrrar), *Al-Munjid Fi al-Lughat al-Arabia al-Muasirah,* (Beirūt: Dār al-Mashriq, Edition 2, 2000AD), P. 418.
[21] Cowan, J.M.; The Hans Wehr *Dictionary of Modern Written Arabic,* Spoken Language Services Inc. Ithaca, New York (1976AD). P. 259.
[22] Hornby, A.S.; *Oxford Advanced Learner's Dictionary Current English,* (8th Edition) Oxford University Press, New York (2010AD). P.994.
[23] Bullon, Stephen., LONGMAN- *Dictionary of Contemporary English,* Pearson Education Limited, England (2004AD). P.1067.
[24] Mahmood Mustafa, *Kitab al-Adab al-Arabi wa Tarikhuhu Fi Asr al-Islam,* (Egypt: Matbah Mustafaa al-Babi al-Halbi, Edition 2, 1937AD), P.11.
[25] Ibid, P 33-34.
[26] Mustafa Sadiq Al-Raafiei, *Tarikh Adab al-Arab,* (Libnan: Dār al-Kitaab al-Arabi, Edition 1, 2003AD), 21/1.
[27] Ahmad Shauqi Abd al-Salam Dayf, *Tarikh al-'adab al-Arabi (Al-Asr al-Jahili),* (Egypt: Dār al-Maarif, Edition 1, 1960AD), P.8.
[28] Hussain Sarmk Hassan, *Al-Rakabi Arrab al-Laashueur al-Makir,* (Beirūt: Al-Muasasat al-Arabia Lil-Dirasat wal-Nashr, 2009AD), P.79.
[29] Ibn-e-Manzoor, *Lisan al-Arab*, 889/1.
[30] Al-'Imam Muhammad Fakhr al-Din Al-Raazi, *Al-Tafsir al-Kabir wa-Mafatih al-Ghaib,* (Beirūt: Dār al-Fikr li al-Ṭabā'ت wa al-Nashr wa al-Tawzī', Beirūt, 1985AD), 81/15.
[31] Abū al-Fiḍā' 'Imād ad-Dīn Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr al-Qurashī al-Damishqī, *Tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm,* (Aš-Šārja: Dār al-Fath lil-Tabaat wal-Nashr wal-Tawzie, 1999AD), 244/8.
[32] Abū al-Ṭāhir Majīd al-Dīn Muḥammad ibn Ya'qūb ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm al-Shīrāzī al-Fīrūzābādī, *Basayir Dhawi al-Tamyiz Fi Litayif al-Kitab al-Aziz* (Beirūt: Al-Maktabat al-Ilmia, 1964AD), 568/2.
[33] Untawan Naeamah, wa Isam Mudawwar, w Luais Eajil, wa Matri Shammas (Muharrar), *Al-Munjid Fi al-Lughat al-Arabia al-Muasirah,* P. 419.
[34] Majid Fakhri, *al-Fikr al'-Akhlaqi al-Arabi,* (Beirūt: Al'-Ahliat lil-Nashr wal-Tawzie, 1978AD), P. 89/2.
[35] Abū Bakr ʿAbdu-l-Qāhir ibn ʿAbdur-raḥmān Ul-Jurjānī, *Kitab Al Taʿrīfāt,* (Beirūt: Maktabat Libnan, tabaa jadida 1985AD), P. 106.
[36] Ḥānna Al-Faḫūry, *Al-Mujaz Fi al'-Adab al-Arabi Wa-Tarikhuhu,* (Beirūt: Dār al-Jil, Edition 3, 2003AD/1424AH), P.13.
[37] Al-Fārābī, *Al-Ṣiḥāḥ Taj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-Arabia,,* Madat 'Adab.
[38] Al-Raafiei, *Tarikh Adaab al-Arab*, 21/1.

[39] Qal Ibn-e-Taymia ean hadha al-Hadith: "Al-Maenaa sahih, lakin la yuerf laho 'isnad thabit". Al-Haraani, Taqi al-Din 'Abū al-Abbas 'Ahmad bin Abd al-Halim bin Taymia, *Majmu al-Fatawa,* (Al-Saudia, 1398AH), 375/18.
[40] Shauqi Dayf, *Tarikh al-'Adab al-Aarabi (al-Asr al-Jahili)*, P. 8.
[41] Ibid.
[42] Urwa Bin al-Ward, *Diwan Urwa Bin al-Ward 'Amir al-Sualik,* (Beirūt: Dār al-Kutub al-Ilmia, Libnan, 1998AD).
[43] Muhammad al-Faruqi wa-Muhamad Ismāīl al-Mujaddadi, *Tarikh al-Arabia wa-AadAbūha,* (Calicut: Miushurat Sahara, 2010AD), P. 148.
[44] Jurji Zaidān, *Tarikh Aadab al-Lughah al-Arabia,* (Beirūt: Dār Maktaba al-Hayat, Edition I, 1967AD) 70/1.
[45] "Abū Ya'lá Aḥmad ibn 'Alī Mawṣilī", *Musnad Abi Ya'la al-Mawsili,* (Dimashq: Dār al-Mamun lil-Turath, Edition I, 1404AH/1984AD), 339/7.
[46] 'Akhrajahu 'Abū Ya'lá (6550), wa al-Hakim Fi "al-Mustadrak"124/1, wa al-Bayhaqi fi "*Shuab al-'Iman*" 253/6 (8054) min Hadith 'Abi Huraira. wanzur: "al-daeifat" (634).
[47] Rawaho al-Tibarani fi ((*al-Maujam al-Kabir*)) (110) (8574), w Ibn-al-Mubarak fi ((*al-Zuhd*)) (313/1) (896), wa 'Abū Nuaem fi ((*Hiliat al-'Awlia'*)) (205/2), w al-Baghwi fi ((*Sharh al-Sunnah*)) (137/13). Qal al-Haythami fi ((*al-Majma*)) (250/6): Rijaluh thiqatoon, 'illa 'anna Ubaydata lam yusma min 'abihi.
[48] Dr. Abd-ul-salam Abd-ul-Aziz Fahmi, *Kutub al'-Akhlaq w al-Hikmat al-Ilmia al-Saasania Tathiruha fi al'-Adab al'-Akhlaq al'Islami,* (Cairo: Jamia Ain Shams, 1998AD).
[49] Abd-ul-Karim Zaidan, '*Usool al-Dawat*, (Egypt: Dār al-Irfan, Edition 3, 1408AH).
[50] Izzat al-Sayed 'Ahmad, *Falsafat al-'Akhlaq Ind al-Jāḥiẓ,* (Dimashq: Manshurat Ittehad al-Kitaab al-Arab, 2005AD).
[51] 'Abū Hāmid Muhammad Bin Muhammad al-Tusi Al- Ghazāl, *Ihyā''Ulūm al-Dīn,* (Beirūt: Dār ibn-e-Hazm, Edition I, 2005AD).
[52] 'Abū Nasar Muhammad Bin Muhammad Bin Tarkhan Bin 'Uwzalagh Al-Farabi, *Tahsil al-Saadat,* (Beirūt: Dār w Maktaba al-Hilal, 1995AD).
[53] Abū Muḥammad ʿAbd Allāh ibn Muslim ibn Qutayba al-Dīnawarī al-Marwazī, *Uyūn al-Akhbār*, (Beirūt: Dār al-Kutub al-Ilmia, 1406AH/1986AD).
[54] Mohammad Reyshahri, *Muntakhab Meezan al-Hikmat,* (Qum: Dār al-Hadith Lil-Tabaat wal-Nashar wal-Tawzie, 2000AD). P. 170.
[55] Al-Qalam 96:4.
[56] Abu'l-Fath Ali ibn Muhammad ibn al-Hussain ibn Yusuf ibn Muhammad ibn Abd al-Aziz al- Bustī, *Diwan 'Abi al-Fatah al-Busti,* (Majma al-Lugah al-Arabih, Dimashq, Edition 3, 1410AH / 1989AD) P. 183.
[57] Ṣafī al-Dīn al-Ḥillī, *Diwan Safi al-Din al-Halli*, (Beirūt: Dār Sadir, 2016AD), P. 402.
[58] Abū al-ʿAlāʾ Aḥmad ibn ʿAbd Allāh ibn Sulaymān al-Tanūkhī al-Maʿarrī, *Al-Luzūmīyāt,* (Cairo: Maktabah al-Khanji, 1342AH), 241/1.
[59] Abū ʿAbdillāh Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal, *Musnad al-'Imam 'Ahmad Bin Hanbal,* (Muasassat al-Risalah, Edition1, 1421 AH / 2001 AD), Raqm al-Hadith: 23489.
[60] Ibrāhīm ibn 'Alī Bin Tamim al-'Ansari al-Ḥuṣarī, *Kitab* Zahr al-ādāb wa-thamar al-albāb, (Egypt: Dār 'Ihya' al-Kutub al-Arabia, Edition I, 1372AH /1953AD), P. 808.
[61] 'Alī ibn al-Ḥasan ibn Hibat Allāh ibn `Abd Allāh, Ibn `Asakir al-Dimashqi al-Shafi`i al-Ash`ari, *Tarikh-e-Dimashq,* (Beirūt: Dār al-Fikr lil-Tabaat wal-Nashr wal-Tawziei, 1415 AH/1995AD), 59/7.

[62] Abū Muḥammad ʿAbd Allāh ibn Muslim ibn Qutayba al-Dīnawarī al-Marwazī, *al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ,* (Cairo: Dār al-Hadith, 1423AH), 140/1.
[63] 'Abū al-Walīd ibn `Ubayd Allāh al-Buhturī, *Dīwān al-Ḥamāsa lil-Buhtri,* (U.A.E.: Haiyat 'Abū Daibi Lil-Thaqafat wal-Turath, 1428 AH /2007AD), P. 432,433.
[64] Muhammad Bin 'Aydmir Al-Muataesimi, *al-Dur al-Farid wa Bayt al-Qaseed,* (Beirūt: Dār al-Kutub al-Ilmia, Edition1, 1436 AH/2015AD), 425/4.
[65] Ibn-e-Qutayba, *al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ,* 343/1.
[66] 'Abū Hilal al-Hassan Bin Abdullh Bin Sahl Bin Saeed Bin Yaḥyā Bin Mehran Askari, *Jamharah al-'Amthal,* (Beirūt: Dār al-Fikr li al-Ṭabāʿt wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ), 280/2.
[67] Al-Buhtri, *Dīwān al-Ḥamāsa lil-Buhtri,* P. 445.
[68] 'Abū Abduallh Muhammad Bin 'Idrees al-Shafie, *Dīwān al'-Imam al-Shafie al-Muthamma al-Jawhar al-Nafees Fi Shier al'Imam Muhammad Bin 'Idrees,* (Cairo: Maktabah al-Kuliyaat al-'Azhariah, Edition 2, 1405AH/ 1985AD) P. 19.